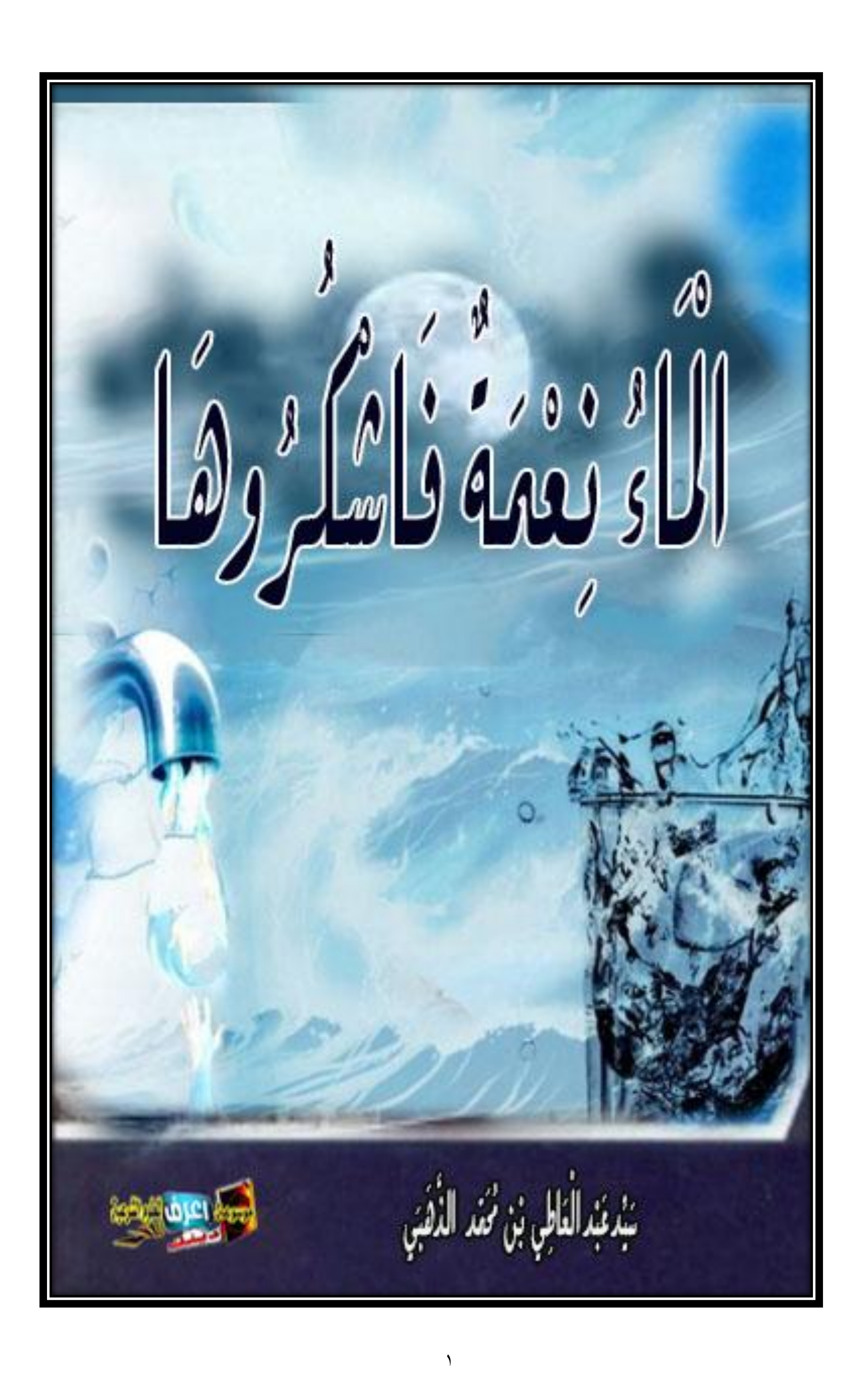

الماء نعمة فاشكروها
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي



يسر موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الالكتروني نشر هذه الرسالة القيمة (الْمَاءُ نِعْمَةٌ فَاشْكُرُوهَا)للشيخ والتي أتحفنا بها فضيلته للنشر الدعوي وقامت الموسوعة بتنسيقها وعمل غلافة ونشرها بروابط مباشرة ونسأل الله القبول والإخلاص مع تحيات

#موسوعة_اعرف_دينك_للعلوم_الشرعية_



الْحَمْدُ لِله رَبِّ الأرْبَاب، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الأحْزَاب، وَمُنَزِّلِ الْكِتَاب، وَمُسَبِّبِ الأسْبَاب، وَخَالِقِ الْبَحْرِ العُبَابِ، بَثَّ فِي الْكَوْنِ آيَاتِ عَظَمَتِهِ لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَّعِظَ أُولُواالألْبَابِ،وَعَدَ عِبَادَهُ

الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ عَظِيم الثَّوَابِ،وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضِينَ الْمُعَانِدِينَ بِأَلِيم الْعِقَابِ وَأَشْهَدُ أَن لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ لِلأَعْيُنِ وَمَا عَنْهَا غَابَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأَصْحَابِ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ النَّجَاة–رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ–رِسَالَة مُخْتَصَرَة عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ { الْمَاءُ نِعْمَةٌ فَاشْكُرُوهَا } .،فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ كَثِيرَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ}.(النّحل:٥٣).،فَاللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْعَطَاءِ وَالْإِحْسَانِ { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ { ظَاهِرَة وَبَاطِنَة { فَمِنَ اللَّهِ } لَا أحد يُشْرِكُهُ فِيهَا، }ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ } مِنْ فَقْرٍ وَمَرَضٍ وَشِدَّةٍ } فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } أيْ: تَضُجُّونَ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ لِعِلْمِكُمْ أَنَّهُ لَا يَدْفَعُ الضُّرَّ وَالشِّدَّةَ إِلَّا هُوَ، فَالَّذِي انْفَرَدَ بِإِعْطَائِكُمْ مَا تُحِبُّونَ، وَصَرْفِ مَا تَكْرَهُونَ، هُوَ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ. وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَجْحَدُونَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ إِذَا نَجَّاهُمْ مِنَ الشِّدَّةِ فَصَارُوا فِي حَالِ الرَّخَاءِ أَشْرَكُوا بِهِ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ الْفَقِيرَةِ.



–وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.(النَّحل:٧٨).،فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُنْفَرِدُ بِهَذِهِ النِّعَمِ حَيْثُ { أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا } وَلَا تَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ ثُمَّ إِنَّهُ } جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ } خَصَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ الثَّلَاثَةَ، لِشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا وَلأَنَّهَا مِفْتَاحُ لِكُلِّ عِلْمٍ، فَلَا وَصَلَ للعَبْدِ عِلْمٌ إِلَّا مِنْ أحَدِ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الثَّلَاثَةِ وَإِلَّا فَسَائِر الْأَعْضَاءِ وَالْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ

هُوَ الَّذِي أعْطَاهُمْ إِيَّاهَا، وَجَعَلَ يُنَمِّيهَا فِيهِمْ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أنْ يَصِلَ كُلُّ أحَدٍ إِلَى الْحَالَةِ اللَّائِقَةِ بِهِ، وَذَلِكَ لأجْلِ أنْ يَشْكُرُوا اللهَ، بِاسْتِعْمَالِ مَا أعْطَاهُمْ مِنْ هَذِهِ الْجَوَارِحِ فِي طَاعَةِ اللهِ، فَمَنِ اسْتَعْمَلَهَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ كَانَتْ حُجَّةً عَلَيْهِ وَقَابَلَ النِّعْمَةَ بِأقْبَحِ الْمُقَابَلَةِ.

–وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ}.(لقمان:٢٠)..فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَمْتَنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِنِعَمِهِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى شُكْرِهَا وَرُؤْيَتِهَا؛ وَعَدَمِ الْغَفْلَةِ عَنْهَا فَقَالَ: { أَلَمْ تَرَوْا } أيْ: تُشَاهِدُوا وَتُبْصِرُوا بِأبْصَارِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ، { أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ { مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، كُلِّهَا مُسَخَّرَاتٍ لِنَفْعِ الْعِبَادِ.{ وَمَا فِي الْأَرْضِ } مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْأشْجَارِ وَالزُّرُوعِ، وَالْأنْهَارِ وَالْمَعَادِنِ وَنَحْوِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا }.

،{ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ } أيْ: عَمَّكُمْ وَغَمَرَكُمْ نِعَمَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ الَّتِي نَعْلَمُ بِهَا؛ وَالَّتِي تَخْفَى عَلَيْنَا، نِعَمَ الدُّنْيَا، وَنِعَمَ الدِّينِ، حُصُول الْمَنَافِعِ، وَدَفْع الْمَضَارِّ، فَوَظِيفَتُكُمْ أنْ تَقُومُوا بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ؛بِمَحَبَّةِ الْمُنْعِمِ وَالْخُضُوعِ لَهُ؛ وَصَرْفِهَا فِي الاسْتِعَانَةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأنْ لَا يُسْتَعَان بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَى مَعْصِيَتِهِ.{ وَ } لَكِنْ مَعَ تَوَالِي هَذِهِ النِّعَم؛ { مِنَ النَّاسِ مَنْ } لَمْ يَشْكُرْهَا؛ بَلْ كَفَرَهَا؛ وَكَفَرَ بِمَنْ أنْعَمَ بِهَا؛ وَجَحَدَ الْحَقَّ الَّذِي أنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ؛ وَأرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، فَجَعَلَ { يُجَادِلُ فِي اللَّهِ } أيْ: يُجَادِلُ عَنِ الْبَاطِلِ؛ لِيُدْحِضَ بِهِ الْحَقَّ؛ وَيَدْفَعَ بِهِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ مِنَ الْأمْرِ بِعِبَادَةِ اللّهِ وَحْدَهُ، وَهَذَا الْمُجَادِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ، فَلَيْسَ جِدَالُهُ عَنْ عِلْمٍ، فَيُتْرَك وَشَأنَهُ، وَيُسْمَح لَهُ فِي الْكَلَامِ { وَلَا هُدًى } يَقْتَدِي بِهِ بِالْمُهْتَدِين { وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ } غَيْر مُبَيِّن للحَقِّ فَلَا مَعْقُول وَلَا مَنْقُول وَلا اقْتِدَاء بِالْمُهْتَدِين وَإِنَّمَا

جِدَالُهُ فِي اللّهِ مَبْنِيٌّ عَلَى تَقْلِيدِ آبَاء غَيْر مُهْتَدِين، بَلْ ضَالِّين مُضِلِّين.

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}.(النَّحل:١٨).،أيْ:وَإنْ تُحَاوِلُوا حَصْرَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ لَا تَفُوا بِحَصْرِهَا؛ لِكَثْرَتِهَا وَتَنَوُّعِهَا. إنَّ اللهَ لَغَفُورٌ لَكُم رَحِيمٌ بِكُمْ؛ إذْ يَتَجَاوَزُ عَنْ تَقْصِيرِكُمْ فِي أدَاءِ شُكْرِ النِّعَمِ، وَلَا يَقْطَعُهَا عَنْكُمْ لِتَفْرِيطِكُمْ، وَلَا يُعَاجِلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.



•أنْوَاعُ النِّعَمِ:

-هَذِهِ النِّعَمُ الَّتِي أنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى عِبَادِهِ لَهَا صُوَرٌ ثَلَاثَةٌ:

(1)الصُّورَةُ الْأولَى

-النِّعَمُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَخُصُّكَ وَحْدَكَ كَسَمْعِكَ،وَبَصَرِكَ،وَقَلْبِكَ، وَصِحَّتِكَ،وَهِمَّتِكَ فَهَذِهِ نِعَمٌ خَاصَّةٌ بِكَ: {خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ }.(التَّغابن:٣.)

(2)الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ:

-الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ النِّعَمُ الْعَامَّةُ وَالَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا كُلُّ النَّاسِ وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ غَيْرِ الْإِنْسَانِ نَصِيبٌ فِيهَا مِثْل الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ وَالظِّلِّ وَالنَّارِ وَالْعُشْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ وَالْمَنَافِعِ الْعَامَّةِ الْقَدِيمَةِ قِدَمِ الْإِنْسَانِ.،فَقَدْ أخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُد-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٣٤٧٧)مِنْ حَدِيث رَجُلٍ مِنَ

الْمُهَاجِرِينَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ : فِي الْكَلأَ ، وَالْمَاءِ ، وَالنَّارِ}.

(3)الصُّورَةُ الثَّالِثَةُ:

–الصُورَةُ الثَّالِثَةُ هِيَ أيْضًا مِنَ النِّعَمِ الْعَامَّةِ وَمِنَ الْمَنَافِعِ الْعَامَّةِ وَالَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا كُلُّ النَّاسِ لَكِنَّهَا هَذِهِ الْمَرَّةَ هِيَ نِعَمٌ اسْتَحْدَثَهَا النَّاسُ بِهِدَايَةٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى كَالْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْمَشَافِي وَالْمَسَاجِدِ وَالطُّرُقِ وَالْبِنْيَةِ التَّحْتِيَّةِ وَهِيَ نِعَمٌ لِكُلِّ إنْسَانٍ فِيهَا سَهْمٌ.



•وَبَعْدَ هَذَا التَّمْهِيدِ حَانَ أوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأقُولُ وَباللَّهُ التَّوْفِيق:

•أوَّلًا:الْمَاءُ نِعْمَةٌ:

•فَالْمَاءُ نِعْمَةٌ مِنَ النِّعَمِ الْعَامَّةِ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا كُلُّ النَّاسِ بَلْ وَالْحَيَوَانَات وَالطُّيُور،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }. (الأنبياء:٣٠)

–فَقَوْلُهُ:{ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }. أيْ: وَخَلَقْنَا مِنَ الْمَاءِ بِقُدْرَتِنَا النَّافِذَةِ، كُلَّ شَيءٍ مُتَّصِفٍ بِالْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَهُوَ الْحَيَوَانُ، أوْ كُلّ شَيءٍ نَامٍ فَيَدْخُلُ النَّبَاتُ، وَيُرَادُ مِنَ الْحَيَاةِ مَا يَشْمَلُ النُّمُوَ.

-وَهَذَا الْعَامُّ مَخْصُوصٌ بِمَا سِوَى الْمَلَائِكَة وَالْجِنّ مِمَّا هُوَ حَيٌّ، لأَنَّ الْمَلَائِكَةَ- كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ خُلِقُوا مِنَ النُّورِ، وَالْجِنَّ مَخْلُوقُونَ مِنَ النَّارِ.

-قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:{خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ}.

-قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: { وَفِي قَوْلِهِ تَبارَكَ وَتَعَالَى :{ وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } ثَلَاثُ تَأْوِيلَاتٍ:

-أحدُهَا: أَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ مِنَ الْمَاءِ.

قَالَهُ قَتَادَةُ

-الثَّانِي: حَفِظَ حَيَاةَ كُلّ شَيءٍ بِالْمَاءِ.

-الثَّالِثُ: وَجَعَلْنَا مِنْ مَاءِ الصُّلْبِ- أىْ: النُّطْفَة- كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ.

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ }.(الشُّورى:٢٨).

-فَقَوْلُهُ: { وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ }. أيْ: الْمَطَر الْغَزِير الَّذِي بِهِ يَغِيثُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ، { مِنْ بَعْدِ مَا قَنطُوا } وَانْقَطَعَ عَنْهُمْ مُدَّةً ظَنُّوا أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِمْ، وَأَيَسُوا وَعَمِلُوا لِذَلِكَ الْجَدْبِ أعْمَالًا، فَيُنَزِّلُ اللهُ الْغَيْثَ { وَيَنْشُرُ } بِهِ { رَحْمَتَهُ } مِنْ إخْرَاجِ الْأَقْوَاتِ للآدَمِيِّينَ وَبَهَائِمِهِمْ، فَيَقَعُ عِنْدَهُمْ مَوْقِعًا عَظِيمًا، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِذَلِكَ وَيَفْرَحُونَ.

{ وَهُوَ الْوَلِيُّ } الَّذِي يَتَوَلَّى عِبَادَهُ بِأنْوَاعِ التَّدْبِيرِ، وَيَتَوَلَّى الْقِيَامَ بِمَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

{ الْحَمِيدُ } فِي وِلَايَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ، الْحَمِيدُ عَلَى مَا لَهُ مِنَ الْكَمَالِ، وَمَا أَوْصَلَهُ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ أنوَاعِ الْإفْضَالِ.

-وَقَالَ اللَّهُ تَعالَى:{ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }.(النَّحل:١٠-١١).

-أيْ:هُوَ الَّذِي أنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا، فَجَعَلَ لَكُمْ مِنْهُ مَاءً تَشْرَبُونَهُ، وَأخْرَجَ لَكُمْ بِهِ شَجَرًا تَرْعَوْنَ فِيهِ دَوَابَّكُمْ، وَيَعُودُ عَلَيْكُمْ دَرُّهَا وَنَفْعُهَا.

-يُخْرِجُ لَكُمْ مِنَ الْأرْضِ بِهَذَا الْمَاءِ الْوَاحِدِ الزُّرُوعَ الْمُخْتَلِفَةَ، وَيُخْرِجُ بِهِ الزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأعْنَابَ، وَيُخْرِجُ بِهِ كُلَّ أنْوَاعِ الثِّمَارِ وَالْفَوَاكِهِ. إنَّ فِي ذَلِكَ الْإخْرَاجِ لَدَلَالَةً وَاضِحَةً لِقَوْمٍ يَتَأمَّلُونَ، فَيَعْتَبِرُونَ.



•ثَانِيًا:شُكْرُ نِعْمَةِ الْمَاءِ:

-بِدَايَةً لَا بُدّ مِنْ مَعْرِفَةِ مَعْنَى الشُّكْرِ وَمَرَاتِبِهِ:

(أ)مَعْنَى الشُّكْرِ:

-قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ ج: ٢ ص: ٢٣٦-٢٤٢: { قَالَ صَاحِبُ (الْمَنَازِلِ): الشُّكْرُ: اسْمٌ لِمَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ. لِأَنَّهَا السَّبِيلُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمُنْعِمِ. وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ فِي الْقُرْآنِ: شُكْرًا.

-فَمَعْرِفَةُ النِّعْمَةِ: رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الشُّكْرِ. لَا أَنَّهَا جُمْلَةُ الشُّكْرِ، كَمَا تَقَدَّمَ: أَنَّهُ الِاعْتِرَافُ بِهَا، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِهَا، وَالْخُضُوعُ لَهُ وَمَحَبَّتُهُ، وَالْعَمَلُ بِمَا يُرْضِيهِ فِيهَا. لَكِنْ لَمَّا كَانَ مَعْرِفَتُهَا رُكْنَ الشُّكْرِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي يَسْتَحِيلُ وُجُودُ الشُّكْرِ بِدُونِهِ: جُعِلَ أَحَدُهُمَا اسْمًا لِلْآخَرِ.

-قَوْلُهُ: لِأَنَّهُ السَّبِيلُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمُنْعِمِ.يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا عَرَفَ النِّعْمَةَ تَوَصَّلَ بِمَعْرِفَتِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ الْمُنْعِمِ بِهَا.

-وَهَذَا مِنْ جِهَةِ مَعْرِفَةِ كَوْنِهَا نِعْمَةً، لَا مِنْ أَيِّ جِهَةٍ عَرَفَهَا بِهَا. وَمَتَى عَرَفَ الْمُنْعِمَ أَحَبَّهُ. وَجَدَّ فِي طَلَبِهِ. فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ. وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا أَبْغَضَهَا لَا مَحَالَةَ.

-وَعَلَى هَذَا:يَكُونُ قَوْلُهُ:الشُّكْرُ اسْمٌ لِمَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ. مُسْتَلْزِمًا لِمَعْرِفَةِ الْمُنِعِمِ .

-وَمَعْرِفَتُهُ تَسْتَلْزِمُ مَحَبَّتَهُ. وَمَحَبَّتُهُ تَسْتَلْزِمُ شُكْرَهُ.

-فَيَكُونُ قَدْ ذَكَرَ بَعْضَ أَقْسَامِ الشُّكْرِ بِاللَّفْظِ. وَنَبَّهَ عَلَى سَائِرِهَا بِاللُّزُومِ. وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ اخْتِصَارِهِ. وَكَمَالِ مَعْرِفَتِهِ وَتَصَوُّرِهِ، قَدَّسَ اللَّهُ رَوْحَهُ.

-قَالَ: وَمَعَانِي الشُّكْرِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: مَعْرِفَةُ النِّعْمَةِ. ثُمَّ قَبُولُ النِّعْمَةِ. ثُمَّ الثَّنَاءُ بِهَا. وَهُوَ أَيْضًا مِنْ سُبُلِ الْعَامَّةِ.

-أَمَّا مَعْرِفَتُهَا: فَهُوَ إِحْضَارُهَا فِي الذِّهْنِ، وَمُشَاهَدَتُهَا وَتَمْيِيزُهَا.

-فَمَعْرِفَتُهَا: تَحْصِيلُهَا ذِهْنًا، كَمَا حَصَلَتْ لَهُ خَارِجًا. إِذْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تُحْسِنُ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي. فَلَا يَصِحُّ مِنْ هَذَا الشُّكْرُ.

قَوْلُهُ: ثُمَّ قَبُولُ النِّعْمَةِ.

-قَبُولُهَا : هُوَ تَلَقِّيهَا مِنَ الْمُنْعِمِ بِإِظْهَارِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ إِلَيْهَا. وَأَنَّ وُصُولَهَا إِلَيْهِ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُ، وَلَا بَذْلِ ثَمَنٍ. بَلْ يَرَى نَفْسَهُ فِيهَا كَالطُّفَيْلِيِّ. فَإِنَّ هَذَا شَاهِدٌ بِقَبُولِهَا حَقِيقَةً.

–قَوْلُهُ: ثُمَّ الثَّنَاءُ بِهَا.الثَّنَاءُ عَلَى الْمُنْعِمِ، الْمُتَعَلِّقُ بِالنِّعْمَةِ نَوْعَانِ : عَامٌّ، وَخَاصٌّ. فَالْعَامُّ: وَصْفُهُ بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ، وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَسَعَةِ الْعَطَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالْخَاصُّ: التَّحَدُّثُ بِنِعْمَتِهِ، وَالْإِخْبَارُ بِوُصُولِهَا إِلَيْهِ مِنْ جِهَتِهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}.(الضّحى: ١١).

وَفِي هَذَا التَّحْدِيثِ الْمَأْمُورِ بِهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا:

أَنَّهُ ذِكَرَ النِّعْمَةَ، وَالْإِخْبَارَ بِهَا

وَقَوْلُهُ: أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ بِكَذَا وَكَذَا. قَالَ مُقَاتِلٌ: يَعْنِي اشْكُرْ مَا ذَكَرَ مِنَ النِّعَمِ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: مِنْ جَبْرِ الْيُتْمِ، وَالْهُدَى بَعْدَ الضَّلَالِ، وَالْإِغْنَاءِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ.

–وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ.كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرٍ مَرْفُوعًا:(مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَلْيَجْزِ بِهِ. فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَا يَجْزِي بِهِ فَلْيُثْنِ. فَإِنَّهُ إِذَا أَثْنَى عَلَيْهِ فَقَدْ شَكَرَهُ. وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ، وَمَنْ تَحَلَّى بِمَا لَمْ يُعْطَ كَانَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ. (

–فَذَكَرَ أَقْسَامَ الْخَلْقِ الثَّلَاثَةَ:شَاكِرُ النِّعْمَةِ الْمُثْنِي بِهَا، وَالْجَاحِدُ لَهَا وَالْكَاتِمُ لَهَا .

–وَالْمُظْهِرُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا، وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا. فَهُوَ مُتَحَلٍّ بِمَا لَمْ يُعْطَهُ. وَفِي أَثَرٍ آخَرَ مَرْفُوعٍ:(مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ. وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ. وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ. وَتَرْكُهُ كُفْرٌ. وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ).

–وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ التَّحَدُّثَ بِالنِّعْمَةِ الْمَأْمُورَ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: هُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ، وَتَبْلِيغُ رِسَالَتِهِ، وَتَعْلِيمُ الْأُمَّةِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ النُّبُوَّةُ. قَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ

بَلِّغْ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، وَحَدِّثْ بِالنُّبُوَّةِ الَّتِي آتَاكَ اللَّهُ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: هُوَ الْقُرْآنُ. أَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَهُ.

–وَالصَّوَابُ: أَنَّهُ يَعُمُّ النَّوْعَيْنِ. إِذْ كَلٌّ مِنْهُمَا نِعْمَةٌ مَأْمُورٌ بِشُكْرِهَا وَالتَّحَدُّثِ بِهَا. وَإِظْهَارِهَا مِنْ شُكْرِهَا.

–قَوْلُهُ: وَهُوَ أَيْضًا مِنْ سُبُلِ الْعَامَّةِ.يَا لَيْتَ الشَّيْخَ صَانَ كِتَابَهُ عَنْ هَذَا التَّعْلِيلِ.إِذْ جَعَلَ نِصْفَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ مِنْ أَضْعَفِ السُّبُلِ.

–بَلِ الشُّكْرُ سَبِيلُ رُسُلِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ – أَخَصِّ خَلْقِهِ، وَأَقْرَبِهِمْ إِلَيْهِ.

–وَيَا عَجَبًا! أَيُّ مَقَامٍ أَرْفَعُ مِنَ الشُّكْرِ الَّذِي يَنْدَرِجُ فِيهِ جَمِيعُ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ، حَتَّى الْمَحَبَّةُ وَالرِّضَا، وَالتَّوَكُّلُ وَغَيْرُهَا؟ فَإِنَّ الشُّكْرَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بَعْدَ حُصُولِهَا. وَتَاللَّهِ لَيْسَ لِخَوَاصِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَأَهْلِ الْقُرْبِ مِنْهُ سَبِيلٌ أَرْفَعَ مِنَ الشُّكْرِ وَلَا أَعْلَى. لِأَنَّ الشُّكْرَ عِنْدَهُمْ يَتَضَمَّنُ نَوْعَ دَعْوَى. وَأَنَّهُ شُكْرُ الْحَقِّ عَلَى إِنْعَامِهِ. فَفِي الشَّاكِرِ بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا رَسْمِهِ. لَمْ يَتَخَلَّصْ عَنْهَا، وَيَفْرُغْ مِنْهَا. فَلَوْ فَنِيَ عَنْهَا – بِتَحَقُّقِهِ أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي شَكَرَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَيْفَ يَشْكُرُ مَنْ لَمْ يَزَلْ – عُلِمَ أَنَّ الشُّكْرَ مِنْ مَنَازِلِ الْعَامَّةِ. وَلَوْ أَنَّ السُّلْطَانَ كَسَا عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِهِ. فَأَخَذَ يَشْكُرُ السُّلْطَانَ عَلَى ذَلِكَ: لَعُدَّ مُخْطِئًا، مُسِيئًا لِلْأَدَبِ.

فَإِنَّهُ مُدَّعٍ بِذَلِكَ مُكَافَأَةَ السُّلْطَانِ بِشُكْرِهِ. فَإِنَّ الشُّكْرَ مُكَافَأَةٌ. وَالْعَبْدُ أَصْغَرُ قَدْرًا مِنَ الْمُكَافَأَةِ. وَالشُّهُودُ لِلْحَقِيقَةِ يَقْتَضِي اتِّحَادَ نِسْبَةِ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ، وَرُجُوعَهَا إِلَى وَصْفِ الْمُعْطِي وَقُوَّتِهِ. فَالْخَاصَّةُ يَسْقُطُ عِنْدَهُمُ الشُّكْرُ بِالشُّهُودِ، وَفِي حَقِّهِمْ مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ.

هَذَا غَايَةُ تَقْرِيرِ كَلَامِهِمْ. وَكَسْوَتُهُ أَحْسَنَ عِبَارَةٍ. لِئَلَّا يُتَعَدَّى عَلَيْهِمْ بِسُوءِ التَّعْبِيرِ الْمُوجِبِ لِلتَّنْفِيرِ.

-وَنَحْنُ مَعَنَا الْعِصْمَةُ النَّافِعَةُ:أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ - غَيْرَ الْمَعْصُومِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ وَمَتْرُوكٌ. وَكُلَّ سَبِيلٍ لَا يُوَافِقُ سَبِيلَهُ فَمَهْجُورٌ غَيْرُ مَسْلُوكٍ }.



(ب)مَرَاتِبُ الشُّكْرِ:

-وَقَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ ج: ٢ ص: ٢٣٤-٢٣٦:{ وَالشُّكْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى خَمْسِ قَوَاعِدَ:خُضُوعُ الشَّاكِرِ لِلْمَشْكُورِ. وَحُبُّهُ لَهُ. وَاعْتِرَافُهُ بِنِعْمَتِهِ. وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِهَا. وَأَنْ لَا يَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا يَكْرَهُ.

-فَهَذِهِ الْخَمْسُ:هِيَ أَسَاسُ الشُّكْرِ. وَبِنَاؤُهُ عَلَيْهَا. فَمَتَى عُدِمَ مِنْهَا وَاحِدَةٌ: اخْتَلَّ مِنْ قَوَاعِدِ الشُّكْرِ قَاعِدَةٌ.

-وَكُلُّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الشُّكْرِ وَحْدَهُ، فَكَلَامُهُ إِلَيْهَا يَرْجِعُ. وَعَلَيْهَا يَدُورُ.

-فَقِيلَ: حَدُّهُ الِاعْتِرَافُ بِنِعْمَةِ الْمُنْعِمِ عَلَى وَجْهِ الْخُضُوعِ.

-وَقِيلَ: الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ.

-وَقِيلَ:هُوَ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَى مَحَبَّةِ النِّعَمِ، وَالْجَوَارِحِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَجَرَيَانُ اللِّسَانِ بِذِكْرِهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ.

-وَقِيلَ:هُوَ مُشَاهَدَةُ الْمِنَّةِ. وَحِفْظُ الْحُرْمَةِ.

وَمَا أَلْطَفَ مَا قَالَ حَمْدُونُ الْقَصَّارُ: شُكْرُ النِّعْمَةِ أَنْ تَرَى نَفْسَكَ فِيهَا طُفَيْلِيًّا.

-وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ: الشُّكْرُ مَعْرِفَةُ الْعَجْزِ عَنِ الشُّكْرِ.

-وَقِيلَ: الشُّكْرُ إِضَافَةُ النِّعَمِ إِلَى مُولِيهَا بِنَعْتِ الِاسْتِكَانَةِ لَهُ.

-وَقَالَ الْجُنَيْدُ:الشُّكْرُ أَنْ لَا تَرَى نَفْسَكَ أَهْلًا لِلنِّعْمَةِ.

هَذَا مَعْنَى قَوْلِ حَمْدُونَ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فِيهَا طُفَيْلِيًّا.

-وَقَالَ رُوَيْمٌ: الشُّكْرُ اسْتِفْرَاغُ الطَّاقَةِ.

-وَقَالَ الشِّبْلِيُّ: الشُّكْرُ رُؤْيَةُ الْمُنْعِمِ لَا رُؤْيَةُ النِّعْمَةِ.

-قُلْتُ: يَحْتَمِلُ كَلَامُهُ أَمْرَيْنِ.

-أَحَدُهُمَا: أَنْ يَفْنَى بِرُؤْيَةِ الْمُنْعِمِ عَنْ رُؤْيَةِ نِعَمِهِ

-وَالثَّانِي: أَنْ لَا تَحْجُبَهُ رُؤْيَةُ نِعَمِهِ وَمُشَاهَدَتُهَا عَنْ رُؤْيَةِ الْمُنْعِمِ بِهَا. وَهَذَا أَكْمَلُ. وَالْأَوَّلُ أَقْوَى عِنْدَهُمْ.

-وَالْكَمَالُ: أَنْ تَشْهَدَ النِّعْمَةَ وَالْمُنْعِمَ. لِأَنَّ شُكْرَهُ بِحَسَبِ شُهُودِ النِّعْمَةِ. فَكُلَّمَا كَانَ أَتَمَّ كَانَ الشُّكْرُ أَكْمَلَ. وَاللَّهُ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ: أَنْ يَشْهَدَ نِعَمَهُ، وَيَعْتَرِفَ لَهُ بِهَا. وَيُثْنِيَ عَلَيْهِ بِهَا. وَيُحِبُّهُ عَلَيْهَا. لَا أَنْ يَفْنَى عَنْهَا. وَيَغِيبَ عَنْ شُهُودِهَا.

-وَقِيلَ:الشُّكْرُ قَيْدُ النِّعَمِ الْمَوْجُودَةِ،وَصَيْدُ النِّعَمِ الْمَفْقُودَةِ.

-وَشُكْرُ الْعَامَّةِ:عَلَى الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ، وَقُوتِ الْأَبْدَانِ.

-وَشُكْرُ الْخَاصَّةِ:عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ وَقُوتِ الْقُلُوبِ.

وَقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:(يَا رَبِّ، كَيْفَ أَشْكُرُكَ؟ وَشُكْرِي لَكَ نِعْمَةٌ عَلَيَّ مِنْ عِنْدِكَ تَسْتَوْجِبُ بِهَا شُكْرًا. فَقَالَ: الْآنَ شَكَرْتَنِي يَا دَاوُدُ)

-وَفِي أَثَرٍ آخَرَ إِسْرَائِيلِيٍّ:(أَنَّ مُوسَى- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: يَا رَبِّ، خَلَقْتَ آدَمَ بِيَدِكَ. وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِكَ. وَأَسْجَدْتَ لَهُ مَلَائِكَتَكَ. وَعَلَّمْتَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ. وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ. فَكَيْفَ شَكَرَكَ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي. فَكَانَتْ مَعْرِفَتُهُ بِذَلِكَ شُكْرًا لِي).

-وَقِيلَ:الشُّكْرُ التَّلَذُّذُ بِثَنَائِهِ، عَلَى مَا لَمْ تَسْتَوْجِبْ مِنْ عَطَائِهِ.

-وَقَالَ الْجُنَيْدُ-وَقَدْ سَأَلَهُ سَرِيٌّ عَنِ الشُّكْرِ، وَهُوَ صَبِيٌّ - الشُّكْرُ: أَنْ لَا يُسْتَعَانَ بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى مَعَاصِيهِ. فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ مُجَالَسَتِكَ.

-وَقِيلَ: مَنْ قَصُرَتْ يَدَاهُ عَنِ الْمُكَافَآتِ فَلْيَطُلْ لِسَانُهُ بِالشُّكْرِ



.

وَالشُّكْرُ مَعَهُ الْمَزِيدُ أَبَدًا.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ }.(إبراهيم:٧).فَمَتَى لَمْ تَرَ حَالَكَ فِي مَزِيدٍ. فَاسْتَقْبِلِ الشُّكْرَ .

-وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:(أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ مُجَالَسَتِي، وَأَهْلُ شُكْرِي أَهْلُ زِيَادَتِي، وَأَهْلُ طَاعَتِي أَهْلُ كَرَامَتِي، وَأَهْلُ مَعْصِيَتِي لَا أُقَنِّطُهُمْ مِنْ رَحْمَتِي. إِنْ تَابُوا فَأَنَا حَبِيبُهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا فَأَنَا طَبِيبُهُمْ. أَبْتَلِيهِمْ بِالْمَصَائِبِ، لِأُطَهِّرَهُمْ مِنَ الْمَعَايِبِ)-تَنْبِيهٌ:هذا الأثر لا يصحّ.-

-وَقِيلَ: مَنْ كَتَمَ النِّعْمَةَ فَقَدْ كَفَرَهَا. وَمَنْ أَظْهَرَهَا وَنَشَرَهَا فَقَدْ شَكَرَهَا. وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:(إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ.)

وَفِي هَذَا قِيلَ:

وَمِنَ الرَّزِيَّةِ أَنَّ شُكْرِيَ صَامِتٌ

عَمَّا فَعَلْتَ وَأَنَّ بِرَّكَ نَاطِقُ

وَأَرَى الصَّنِيعَةَ مِنْكَ ثُمَّ أُسِرُّهَا

إِنِّي إِذًا لِنَدَى الْكَرِيمِ لَسَارِقُ }.

•فَمِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ الْمَاءِ الْفَرَحُ بِهَا تَأَسِّيًا بِرَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَدْ كَانَ يَفْرَحُ عِنْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ.

-فَقَدْ أخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (898)مِنْ حَدِيثِ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تعَالَى عَنْهُ-قَالَ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مَطَرٌ، قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثَوْبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: { لأَنَّهُ حَديثُ عَهْدٍ برَبِّهِ تَعَالَى }.

-فَحَرِيٌّ بِنَا أنْ نَفْرَحَ وَنَسْعَدَ بِتِلْكَ النِّعْمَةِ الَّتِي غَمَرَ اللهُ الْعِبَادَ بِهَا عِنْدَمَا أنْزَلَ لَهُمُ الْغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ بِأمْرِهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: { وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا }.(الفرقان:٤٨).، فَهُوَ مَاءٌ طَيِّبٌ طَهُورٌ مُبَارَكٌ، قَالَ تَعَالَى:{ وَأَنزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥)وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا }.(النَّبأ:١٤-١٦)

-فَبِالْمَاءِ يُخْرِجُ اللهُ تَعَالَى جَمِيعَ أصْنَافِ الْفَوَاكِهِ وَالْخُضْرَوَاتِ، وَبِالْمَاءِ يَشْرَبُ الْإنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ وَالطَّيْرُ، وَكُلُّ شَيءٍ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ يَحْتَاجُ إلَى الْمَاءِ، قَالَ تَعَالَى: { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }. (الأنبياء:٣٠)

-وَالْمَاءُ مِنَّةٌ مِنَ اللهِ مَنَّ بِهَا عَلَيْنَا، قَالَ تَعَالَى:{ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ(٦٨) أَأَنْتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنْ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ }. (الواقعة:٦٨-٦٩)

-فَسُبْحَانَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيءٍ ! سُبَحَانَ الْمُتَفَضِّلِ وَالْمُنْعِمِ وَالْمُعْطِي ! لَا مَانِعَ لِمَا أعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }.(يس:٨٢)

-وَمِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ الْمَاءِ عَدَمُ الْإسْرَافِ فِيهِ لِعُمُومِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }.(الأعراف:٣١)

-وَالْإسْرَافُ هُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَشْيَاءِ، قَالَ ابْنُ عَابِدِين-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي رَدِّ الْمِحْتَارِ (١/١٣٢): { الْإسْرَافُ صَرْفُ الشَّيءِ فِيمَا يَنْبَغِي زَائِدًا عَلَى مَا يَنْبَغِي }. انتهى.

-وَالْإسْرَافُ خُلُقٌ مَذْمُومٌ، أفْتَى الْعُلَمَاءُ بِحُرْمَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِكَرَاهِتِهِ، وَالْقَوْلُ بِالْحُرْمَةِ، أوْلَى، لأنَّ الْأدِلَّةَ تَشْهَدُ لَهُ، وَقَوَاعِدَ الشَّرِيعَةِ تُعَضِّدُهُ وَتُقَوِّيه.

-وَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنِ الْإسْرَافِ فِي اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ فِي الْوُضُوءِ فِي عِدَّةِ أحَادِيث أذْكُرُ مِنْهَا:

-مَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ أحْمَدُ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي مُسْنَدِهِ بِرَقَمِ (12/23)وَقَالَ الشَّيخُ أحْمَد شَاكِرِ فِي تَخْرِيجِهِ:إسْنَادُهُ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-:أنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مَرَّ بِسَعدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ : { مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ ؟ قَالَ : أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ؟ قَالَ :نَعَم،وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ }

-وَمَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ أحْمَدُ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-أيْضًا فِي مُسْنَدِهِ بِرَقَمِ(١٦٨٠١) مِنْ حَدِيثِ التَّابِعِيِّ أَبِي نَعَامَةَ قَيْسِ بْنِ عَبَايَةَ الْحَنَفِيِّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: أنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ سَمِعَ ابْنًا لَهُ يَقُولُ: اللَّهمَّ إِنِّي أسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْجَنَّةِ إذَا دَخَلتُهَا عَنْ يَمِينِي. قَالَ: فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ، سَلِ اللهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْهُ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ:{ سَيَكُونُ بَعْدِي قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطَّهُورِ }

-وَالاعْتِدَاءُ فِي الطَّهُورِ(الْوضُوءِ):أنْ يَغسِلَ الْأعْضَاءَ أكثَرَ مِنْ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أوْ يُسْرِفَ فِي اسْتِخْدَامِ الْمَاءِ فِي الاسْتِنْجَاءِ، وَالْوُضُوءِ، وَالْغُسْلِ، وَكَذَلِكَ الْمُبَالَغَةُ فِي تَحَرِّي طُهُورِيَّتِهِ؛ حَتَّى يُفْضِيَ إلَى الْوَسَاوِسِ

.

-وَمَا أخْرَجَهُ أبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٣٥) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-:أنَّ رَجُلًا أتَى النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطُّهُورُ؟ فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إنَاءٍ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثًا ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ غَسَلَ ذِرَاعَيْهِ ثَلَاثًا ثُمَّ مَسَحَ بِرَأسِهِ فَأدْخَلَ إصْبَعَيْهِ السَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ وَمَسَحَ بِإِبْهَامَيْهِ عَلَى ظَاهِرِ أذُنَيْهِ وَبِالسَّبَّاحَتَيْنِ بَاطِنَ أذُنَيْهِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ:{ هَكَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا أوْ نَقَصَ فَقَدْ أسَاءَ وَظَلَمَ أوْ ظَلَمَ وَأسَاءَ }

-فَقَوْلُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ هَكَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا }. يَعْنِي: عَلَى الثَّلَاثِ،{ أَوْ نَقَصَ }عَنِ الثَّلَاثِ { فَقَدْ أَسَاءَ } بِتَرْكِ السُّنَنِ وَآدَابِ الشَّرعِ، { وَظَلَمَ } بِأَنْ ترَكَ مُتَابَعَةَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَخَالَفَهُ، وَقَدْ ذَكَرَ هُنَا فَرَائِضَ الْوُضُوءِ، وَلَمْ يَذْكُرْ هُنَا الْمَضْمَضَةَ وَلَا الاسْتِنْشَاقَ؛ وَلَعَلَّهُمَا دَاخِلَتَانِ فِي غَسْلِ الْوَجْهِ، أَوْ لَيْسَ غُسْلُهُمَا فَرْضًا؛ فَلَمْ يَذْكُرْهُمَا.

-وَذهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى تَضْعِيفِ زِيَادَةِ { أَوْ نَقَصَ } وَعَدُّوهُ مِنْ جُمْلَةِ مَا أُنْكِرَ عَلَى عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ؛ لأَنَّ ظَاهِرَهُ ذَمُّ النَّقْصِ عَنِ الثَّلَاثَةِ، وَالنَّقْصُ عَنِ الثَّلَاثَةِ جَائِزٌ؛ فَقَدْ فَعَلَهُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فَكَيْفَ يُعَبَّرُ عَنْهُ بـ{ أَسَاءَ }؟ فَقِيلَ: إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّفْظُ شَكًّا مِنَ الرَّاوِي، فَهُوَ مِنَ الْأَوْهَامِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي لَا خَفَاءَ لَهَا؛ إِذِ الْوُضُوءُ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ لَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ، وَالْآثَارُ فِي ذَلِكَ صَحِيحَةٌ. وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ:{ أَوْ نَقَصَ }: هُنَاكَ حَذْفٌ، تَقْدِيرُهُ: مَنْ نقَصَ شَيْئًا مِنَ الْغَسْلَةِ الْوَاحِدَةِ؛ بِأَنْ تَرَكَ لُمْعَةً فِي الْوُضُوءِ مَرَّةً، فَقَدْ أَسَاءَ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ مُعَاوِيَةَ مِنْ طَرِيقِ الْمُطَّلِبِ بْنِ حَنْطَبٍ مَرْفُوعًا:{ الوُضُوءُ مَرَّةً مَرَّةً، وَثَلَاثًا، فَإِنْ نَقَصَ مِنْ وَاحِدَةٍ، أَوْ زَادَ عَلَى ثَلَاثَةٍ، فَقَدْ أَخْطَأَ}

-قَالَ الْعَلَّامَةُ الْمُبَارَكَفُورِي-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي(تُحْفَة الْأَحْوَذِيّ): ١٥٧/١:{ وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى كَرَاهِيَةِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ للوُضُوءِ،وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى النَّهْيِ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ وَلَوْ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ}.أهـ.

•فَاللَّهُمَّ اسْقِنَا رَبَّنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،

الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أنزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَأخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ بِلَادَنَا، وَحُدُودَنَا، وَانْصُرْ جُنُودَنَا، وَوَفِّقْ وُلَاةَ أمْرِنَا، وَأيِّدْهُمْ بِتَأْيِيدِكَ، وَارْفَعْ عَنَّا الْبَلَاءَ وَالْوَبَاءَ وَالْغَلَاءَ يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ،وَانْصُرْ أهْلَنَا فِي فِلَسْطِينَ،وَاحْقِنْ دِمَاءَ أهْلِنَا فِي السُّودَانِ،وَاجْعَلْ بِلَادَ الْإِسْلَامِ أمْنًا أمَانًا سَخَاءً رَخَاءً،وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



- كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمَّد الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

تمت الرسالة بحمد الله



مع تحيات
موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية